الفصل الثاني
الإطار النظري

المبحث الأول: مفهوم السجع

أ. لغة

قال حفني محمد شرف: والتسجيع في اللغة مأخوذ من تسجيع الحمام وهو هديرها وترديد صوتها وتشبيها به لتكرره على نمط واحد، ويقال: سجع يسجع سجعا: استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا.

قال بطرس البستانى: السجع هو الكلام المقفى او موالاة الكلام على روي (واحد) كان السجع جمع من أسجاع[١٤].

قال لويس معلوف: السجع هو نتق بكلام مقفى له فواصل[١٥].

ب. إصطلاحا

قال أحمد مصطفى المراغي: السجع هو في المنثور بإزاء التصريع الآتي بيانه في المنظوم، أن تتواطأ الفاصلتان في النثر على حرف واحد.[١٦]

قال على الجارمي: السجع توافق الفلصلتين في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقره.[١٧]

---

١. بطرس البستانى، *محيط المحيط*، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٩-١٩٤٤) ص ٣٩٧.

[١٥]. لويس معلوف، المنجد والاعلام (بيروت لبنان: دار المشرق،١٩٨٨) ص ٣٢١.

[١٦]. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣ م ـ ١٤١٤ ه) ص ٣٦٠.

[١٧]. البلاغة الواضحة. ص٢٧٣.

السجع طريقة في الإنشاء سارت منذ القديم في النثر العربي وراجت كثيرا في عصور التنميق مع ماراج من محسنات بديعية. وهي تقوم على اتفاق فاصلتي الكلام في حرف واحد من التقفية. وقد تفنّن الكُتّاب كثيرا في استعماله.[١٨]

ج. أنواع السجع

أقسامه هو على ثلاثة أضرب: مرصع، و متوازي، و مطرف :

١. المرصع: ما اتفقت ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية كقول الحريري: "فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه". وقول أبي الفتح البستي: "لِيكُن إقدامُك تَوكُّلا، وإحْجامك تأمُّلا".

عبارة قول الحرير هي فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه، هناك أربعة ألفاظ: لفظ السجع الأول هو يطبع و يقرع وهما متفقان في الوزن والتقفية، و وزنهما يفعل، وتقفيتهما عُ. و لفظ السجع الثاني هو الاسجاع و الأسماع وهما متفقان في الوزن والتقفية، و وزنهما الأفعال وتقفيتهما اعُ. و لفظ السجع الثالث هو بجواهر و بزواجر وهما متفقان في الوزن والتقفية، و وزنهما بفواعل، وتقفيتهما ر. و لفظ السجع الرابع هو لفظه و وعظه وهما متفقان في الوزن والتقفية، و وزنهما فعله، وتقفيتهما ظه.

٢. المطرف: ما اختلفت فاصلتاه في الوزن و اتفقت في الحرف الأخير، كقوله تعالى: "ما لكم لا ترجون لله وقارا. وقد خلقكم أطوارا".[١٩] لفظ سجعها وقارا و أطوار. هما متفقان في التقفية واختلفت في الوزن وقافيته (را)، و الوزن وقارا

---

[١٨]. إنعام فوال عكاوى، المعجم المفصل في علوم البلاغة، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، سنة ١٩٩٦م – ١٤١٣ ه). ص. ٥٧٨

[١٩]. سورة نوح. الآية ١٣

هو فعَالاً والوزن أطوار هو أفْعَالاً. ونوعه المطرف لأن الفاصلتين اتفقت في القافية واختلفت في الوزن.

٣. المتوازى: ما اتفق فيه الفقرتان في الكلمتين الأخيرتين،[٢٠] مثل: فيها سررٌ مرفوعة، وأكوابٌ موضوعة.[٢١] لفظ سجعها مرفوعة و موضوعة، هما متفقان في الوزن والتقفية، و وزنهما مَفْعُولة، وتقفيتهما (عة). ونوعه المتوازي لأن الفاصلتين اتفقت في القافية والوزن.

---

[٢٠]. علوم البلاغة. ص.٣٦١.

[٢١]. سورة الغاشية. الآية ١٣

جدوال السجع في المثلين من الكتاب علوم البلاغة

نمرة	عبارة	لفظ سجع (١)	لفظ سجع (٢)	الوزن (١)	الوزن (٢)	القافية (١)	القافية (٢)	نوع	السبب
١.	فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه	يطبع الاسجاع بجواهر لفظه	ويقرع الأسماع بزواجر وعظه	يفعل الأفعال بفواعل فعله	فعل الأفعال بفواعل فعله	ع اع ر ظه	ع اع ر ظه	المرصع	اتفقت ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية
٢	ما لكم لا ترجون لله وقارا. وقد خلقكم أطوارا	وقارا	أطوارا	فعالا	أفعالا	را	را	المطرف	لأن الفاصلتين اتفقت في القافية واختلفت في الوزن.
٣	فيها سررٌ مرفوعة، وأكوابٌ موضوعة	مرفوعة	موضوعة	مفعولة	مفعولة	عة	عة	المتوازي	لأن الفاصلتين اتفقت في القافية والوزن

د. شروط جمال السجع

شروط حسنة – لا يحسن السجع كل الحسن إلا اذا استوفى أربعة أشياء:

١. أن تكون المفردات رشيقة أنيقة خفيفة على السمع.

٢. أن تكون الألفاظ خدم المعاني، إذ هي تابعة لها، فإذا رأيت السجع لا يدين لك إلا بزيادة في اللفظ، أو نقصان فيه، فاعلم أنه من المتكلف الممقوت.

٣. أن تكون المعاني الحاصلة عند التركيب مألوفة غير مستنكرة.

٤. أن تدل كل واحدة من السجعتين على معنى يغاير مادلت عليه الأخرى حتى لا يكنون السجع تكرارا بلا فائدة.[٢٢]

ومتى استوفى هذه الشروط كان حلية ظاهرة في الكلام، ومن ثم لا تجد لبليغ كلاما يخلو منه كما لا تخلو منه سورة، وإن قصرت، بل ربما وقع في أوساط الآيات.

الأول. أحسن السجع ما تساوت قرائنه، ثم ماطالت قرينته الثانية، أو الثالثة. فلا يحسن أن تكون القرينة الثانية أقصر من الأولى كثيرا، لأن السجع إذا استوفى أمده في الأولى بطولها وجاءت الثانية أقصر منها كثيرا، يكون كالشيء المبتور، يؤيد ذلك الذوق السليم.

الثاني. الاسجاع مبنية على سكون أو اخرها، لأن المزاوجة بين الفقر في جميع الصور لا تتم إلا بالوقف، لم يكن بد من إعطاء أواخر القرائن مايستلزمه حكم الإعراب فتختلف أواخرها ويفوت السجع.

الثالث. يقال للجزء الواحد من السجع سجعة، وجمعها سجعات، وفقرة وجمعها فقر وفقَرات وفقْرات، وقرينة لمقارنة أختها، وتجمع على قرائن، وللحرف الأخير منها حرف الروي أو الفاصلة.

---

٢٢. علوم البلاغة. ص.٣٦٠.

الرابع. ربما غيرت الكلمة عن موضوعها في تصريف اللغة طلبا للسجع والمزاوجة بين الكلمة وأخواتها.

الخامس. يرى بعض العلماء ومنهم الباقلاني وابن الأثير كراهة إطلاق السجع على القرآن الكريم لأنه نوع من الكلام يعتمد الصنعة وقلما يخلو من التكلف والتعسف، الى أنه مأخوذ من سجع الحمام، وهو هديره، وإنما يقال في مثل ذلك فواصل.

السادس. يرى بعضهم أن السجع غير مختص بالنثر، بل يكون في النظم.[٢٣]

[٢٣]. علوم البلاغة. ص.٣٦٣

المبحث الثاني

سورة الكهف

١. تسمية سورة الكهف

سميت سورة الكهف، لبيان قصة أصحاب الكهف العجيبة الغريبة فيها الآيات (٩-٢٦) مما هو دليل حاسم ملموس على قدرة الله الباهرة.[٢٤] أو جماعة آمنوا بربهم وهربوا بدينهم من الاضطهاد فرارا بدينهم من الفتنة فلجأوا إلى كهف قائلين: ربنا آتنا من عندك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ... وقد مكثو – لبثوا – في كهفهم تسعا وثلاثمائة من السنين وضرب الله تعالى على آذانهم: أي أنامهم في الكهف سنين عديدة لا ينتبهون ثم أيقظهم وطلبوا من ربهم رحمته الخاصة وهي "المغفرة" في الآخرة والأمن من الأعداء والرزق في الدنيا وسمي الجبل والوادي الذي كان فيه الكهف الرقيم – وهو اللوح الحجي الذي كتبت عليه أسماؤهم.[٢٥]

وهي إحدى سور خمس بدئت ب"الحمد لله": وهي الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر. وهو استهلال يوحي بعبودية الإنسان لله تعالى، وإقراره بنعمه وأفضاله، وتمجيد الله عو وجل، والاعتراف بعظمة وجلاله وكماله.

---

[٢٤]. وهبة الزحلي، *التفسير المنير*، (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٥ م-١٤٢٦ ه). ص.٢١٢.

[٢٥]. بهجت عبد الواحد الشيخلي، *بلاغة القرآن الكريم في الاعجاز*، (مكتبة دنديسر، ٢٠٠١م-١٤٢٢ه). ص.٥

٢. مضمون سورة الكهف

تعرضت سورة الكريمة لثلاث قصص من روائع قصص القرآن،[٢٦] وتصحيح العقيدة والأيمان وتصحيح منهج الفكر والنظر وتصحيح القيم بميزان.[٢٧] وإليكم البيان الأوضح فى السطور التالية:

ثلاث قصص

إن الغرض من نزول السورة ذكر القصص الثلاث العجيبة التي لم تذكر في القرآن الكريم إلا في هذه السورة وهي قصة أصحاب الكهف وقصة موسى وفتاه في مسير هما إلى مجمع البحرين وقصة ذي القرنين ثم استفيد منها ما استفرغ في السورة من الكلام في نفي الشريك والحث على تقوى الله سبحانه.[٢٨]

١. قصة أصحاب الكهف

تجيء قصة أصحاب الكهف، فتعرض نموذجا للإيمان في النفوس المؤمنة. كيف تطمئن به، وتؤثره على زينة الأرض ومتاعها، وتلجأبه إلى الكهف حين يعز عليها أن تعيش به مع الناس. وكيف يرعى الله هذه النفوس المؤمنة، ويقيها الفتنة، ويشملها بالرحمة.

وفي القصة روايات شتى، وأقاويل كثيرة. فقد وردت في بعض الكتب القديمة وفي الأساطير بصور شتى. ونحن نقف فيها عند حد ما جاء في القرآن، فهو المصدر الوحيد المستيقن. ونطرح سائر الروايات و الأساطير التي اندست في

---

[٢٦]. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسيرالمجلد الثاني، (يروت لبنان: دار الفكر، ١٤٢١ ه-٢٠٠١ م). ص .١٨١

[٢٧]. سيد قطب، *في ظلال القرآن*. (دار الشروق). ص.٣٦٩

[٢٨]. محمد حسين الطباطبائي، *الميزان في تفسير القرآن*، (بيروت لبنان: ٧١٢٠). ص.٢٣٦

التفاسير بلاسند صحيح. وبخاصة أن القرآن الكريم قد نهى عن استفتاء غير القرآن فيها، وعن المراء فيها والجدل رجما بالغيب.

إن طريقة التي اتبعت في عرض هذه القصة من الناحية الفنية هي طريقة التلخيص الإجمالي أولا، ثم العرض التفصيلي أخيرا. وهي تعرض في مشاهد وتترك بين المشاهد فجوات يعرف ما فيها من السياق. وهي تبدأ هكذا :

(أم حسبت أن أصحاب الكهف والقيم كانوا من آياتنا عجبا. إذ أوى الفتية إلى الكهف، فقالوا : ربنا آتنا من لدنك رحمة، وهيء لنا من أمرنا رشدا. فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا، ثم بعثنا هم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا).

وهو تلخيص يجمل القصة، ويرسم خطوطها الرئيسية العريضة. فنعرف أن أصحاب الكهف فتية – لا نعلم عددهم – آووا إلى الكهف وهم مؤمنون. وأنه ضرب على آذانهم في الكهف – أي ناموا – سنين معدودة – لا نعلم عددها – وأنهم بعثوا من رقدتهم الطويلة. وأنه كان هناك فريقان يتجادلان في شأنهم ثم لبثوا ليتبين أي الفريقين أدق إحصاء. وأن قصتهم على غرابتها ليست بأعجب آيات الله. وفي صفحات هذا الكون من العجائب وفي ثنايه من الغرائب ما يفوق قصة أصحاب الكهف والرقيم.

وبعد هذ التلخيص المشوق للقصة يأخذ السياق في التفصيل. ويبدأ هذ التفصيل بأن ما سيقصه الله منها هو فصل الخطاب في الروايات المتضاربة، وهو الحق اليقين :

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق. أنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا: ربنا رب السماوات والأرض، لن ندعو من دونه إلهًا. لقد قلنا إذن شططا. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة. لولا يأتون

عليهم بسلطان بين. فمن أضلم ممن افترى على الله كذبا ؟ وإذ اعتز لتموهم وما يعبدون – إلا الله – فأووا إلى الكهف، ينشرلكم ربكم من رحمته، ويهيء لكم من أمركم مرفقا).

هذ هو المشهد الأول من مشاهد القصة. "إنهم فتية آمنوا بربهم" .. " وزدناهم هدى" بإلهامهم كيف يدبرون أمرهم. "وربنا على قلوبهم" فإذا هي ثابتة راسخة، مطمئنة إلى الحق الذي عرفت. معتزة بالإيمان الذي اخترات "إذا قاموا" .. والقيام حركة تدل على العزم والثبات. "فقالوا: ربنا رب السماوات والأرض" .. فهو رب هذ الكون كله "لن ندعو من دونه إلها" .. فهو واحد بلاشريك. "لقد قلنا إذن شططا" .. وتجاوزنا الحق وحدنا عن الصواب.[٢٩]

ملخص قصة أهل الكهف كما أثر عن العرب

أرد أن يلزم فتية من أشراف قومه عبادتها، وتوعدهم بالقتل، فأبوا إلا الثبات على دينهم، فترع ثيابهم وحليهم، ولكنه رحم شبابهم فأمهلهم لعلهم يثوبون إلى رشدهم، وهكذا ذهب الملك إلى مدن أخرى ليحث أهلها على عبادتها، وإلا قتلوا.

أما الفتية فإنهم انطلقوا إلى كهف قريب من مدينتهم (أفسوس أوطرسوس) في جبل يدعى (نيخايوس) وأخذوا يعبدون الله فيه حتى إذا هجم عليهم دقيانوس وقتلهم ماتوا طائعين، وقد كانوا سبعة، فلما مروا في طريق إلى الكهف تبعهم راع ومعه كلبه. فجلسوا هناك يعبدون الله. وكان من بينهم امرؤ يدعى (تمليخا) يبتاع لهم طعامهم وشرابهم، ويبلغهم أخبار دقيانوس الذي لايزال مجدّا في طلبهم، حتى إذا عاد من مطافه، ووصل إلى مدينتهم، بحث عن هؤلاء العبّاد والنساك ليذبحهم أو

[٢٩]. في ضلال القرآن. ص.٢٢٦٠

يسجدوا للأصنام، فسمع بذلك تمليخا بينما كان يشترى لهم الطعام خفية فأخبرهم فبكوا، ثم ضرب الله على آذانهم فناموا، وتذكرهم دقيانوس، فهدّد آباءهم إن لم يحضروهم، فدلّوه عليهم، وقالوا إنهم قي الكهف، فتوجه إليهم وسدّه عليهم ليموتوا هناك وينتهى الأمر على ذلك.

حكمة من القصة أصحاب الكهف

ونفهم أن أهل المدينة اليوم مؤمنون، فهو شديد و الحوافة بالفتية المؤمنين بعد أن انكشف أمر هم بذهاب أحدهم لشراء الطعام، وعرف الناس أنه أحد الفتية الذن فروا بدينهم منذ عهد بعيد.

ولنا أن نتصور ضخامة المفاجأة التي اعترت الفتية – بعد لشيء مما ينكرونه ولا لشيء مما يعرفونه وجود ! وأنهم من جيل قديم مضت عليه القرون. وأنهم أعجوبة في نظر الناس وحسهم، فلن يمكن أن يعاملوهم كبشر عاديين. وأن كل ما يربطهم بجيلهم من قرابات ومعاملات زمشاعر وعادات وتقاليد .. كله قد تقطع، فهم أشبه بالذكرى الحية منهم بالأشخاص الواقعية .. فير حمهم الله من هذ كله فيتوفاهم.

لنا أنتنصور هذا كله. أما السياق القرآني فيعرض المشهد الأخير، مشهد وفاتهم، والناس خارج الكهف يتنازعون في شأنهم : على أي دين كانوا، زكيف يخلدونهم ويحفظون ذكراهم للأجيال. ويعهد مباشرة إلى العبرة المستقاة من هذ الحادث العجيب:

"وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق، وأن الساعة لاريب فيها. إذ يتنازعون بينهم أمرهم، فقالوا: ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم. قال الذين غلبوا على أمرهم: لنتخدن عليهم مسجدا".

إن العبرة في خاتمة هؤلاء الفتية هي دلالتها على البعث بمثل واقعي قريب محسوس. يقرب إلى الناس قضية البعث. فيعلموا أن وعد الله بالبعث حق، وأن الساعة لا ريب فيها.. وعلى هذا النحو بعث الله الفتية من نومهم وأعثر قومهم عليهم.

وقال بعض الناس: "ابنوا عليهم بنيانا" لايحدد عقيدتهم "ربهم أعلم بهم" وبما كانوا عليه من عقيدة. وقال أصحاب السلطان في ذلك الأوان: "لنتخذن عليهم مسجدا" والمقصود معبد، على طريقة اليهود والنصارى في اتخاذ المعابد على مقابر الأنبياء والقديسين. وكما يصنع اليوم من يقلدونهم من المسلمين مخالفين لهدى الرسول صلى الله عليه وسلم "لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد".[٣٠]

٢. قصة موسى مع الخضر

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنْسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ

٣٠. في ظلال القرآن. ص. ٢٢٦٤

بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا إِمۡرٗا ٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ٧٣ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسَۢا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ٧٤ [٣١]

أكثر العلماء على أن موسى الذى ذكر في هذه الآية هو موسى بن عمران نبي بنى إسرائيل صاحب المعجزات الظاهرة والشريعة الباهرة، ولهم على ذلك أدلة:

أ. إنه ماذكر الله موسى في كتابه إلا أرد صاحب التوراة، فإطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف إليه، ولو كان شخصا آخر سمىبهذا الاسم لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وتزيل الشبهة.

ب. ما أخرجه البخارى ومسلم في جماعة آخرين عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضى الله عنهما: إن نوفا البكالى بن فظالة ابن كعب من أصحاب أمير المؤمنين على كرم الله وجهه، يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى صاحب بنى إسرائيل، فقال كذب عدو الله.

وذهب أهل الكتاب وتبعهم بعض المحدثين والمؤمنين والمؤرخين أن موسى هنا هو موسى أن ميشى بن يوسف بن يعقوب وكان نبيا قبل موسى بن عمران ولهم على ذلك أدلة :

أ. إن موسى بعد أن أنزلت عليه التوراة وكلمه الله بلا واسطة، وحجّ خصمه لالمعجزات العظيمة التى لم يتفق مثلها لأكثر الأنبياء — يبعد أن يبعثه الله بعد ذلك

---

[٣١]. سورة الكهف

ليستفيد علما من غيره – وردّ هذا بأنه العالم الكامل في أكثر العلوم يجهل بعد أشياء، فيحتاج في تعلمها إلى من دونه، وهذا مشاهد معلوم.

ب. إن موسى عليه السلام بعد خرجوه من مصر وذهابه إلى التيه تُوُفّى و لم يخرج قومه منه إلا بعد وفاته، ولو كانت هذه القصة معه لاقتضت خرجوه من التيه، لأنها لم تكن وهو في مصر بالاتفاق.

ج. إنها لوكانت معه لاقتضت غيبته أياما، ولو كان كذلك لعلمها الكثير من بنى إسرائيل الذين كانوا معه ونقلت لتوافر الدواعى على نقلها، و لم يكن شيء من ذلك، فإذا لم تكن معه – وردّ هذا بأنه قد يكون موسى عليه السلام خرج وغاب أياما، لكن لم يعلموا أنه ذهب لهذا الغرض، بل ذهب ليناجى ربه، و لم يقفهم على حقيقة غيبته بعد أن رجع، لعلمه بقصور فهمهم، فخاف من حط قدره عندهم، فأوصى فتاه بكتمان ذلك.

وعلى الجملة فإنكارهم لايؤبه به، وهو جائز عقلا وقد أخبر به سبحانه رسوله.

فتى موسى – هو يوشع بن نون بن أفراثيم بن يوسف عليه السلام، وقد كان يخدمه ويتعلم منه، والعرب تسمى الخادم فتى، لأن الخدم أكثر مايكونون في سن الفتوة كما يطلقون على العبد فتى، وفي الحديث الصحيح "ليقل أحدكم فتا ى وفتاى، ولايقل عبدى وأمتى" وهذا من محاسن الآداب الشرعية.

الخضر (بفتح الخاء وكسرها وكسر الضاد وسكونها) لقب لصاحب موسى، واسمه بليا (بفتح الباء وسكون اللام) ابن ملكان، والأكثرون على أنه كان نبيا، ولهم على ذلك أدلة :

أ. قوله: "آتيناه رحمة من عندنا" والرحمة: النبوة بدليل قمله: "أهم يقسمون رحمة ربك".

ب. قوله "وعلمناه من لدنا علما" وهذه يقتضى أنه علمه بلا واسطة معلم ولا إرشاد مرشد، وكل من كان كذلك كان نبيا.

ج. إنه قال له موسى: "هل أتبعك على أن تعلن" والنبى لا يتعلم من غير النبى.

د. إنه قال: "وما فعلته عن أمرى" أى بل قد فعلته بوحى من الله، وهذا دليل النبوة.

مجمع البحرين – هو المكان الذى يجتمع فيه البحران ويصيران بحران واحدا، وفيه رأيان:

أ. إنه ملتقى بحر فاريس والروم (ملتقى المحيط الهندى والبحر الأحمر عند الباب المندب).

ب. إنه ملتقى بحر الروم والمحيط الأطلنطى عند طنجة قاله محد بن كعب القرظى (البحر الأبيض المتسط والمحيط الأطلسى عند مضيق جبل طارق أمام طنجة). وسيأتى رأى آخر للبقاعى.

وليس في الكتاب الكريم مايدل على تعيين هذين البحرين، فإن جاء في الخبر الصحيح شيء فذالك، وإلا فيجمل السكوت عنه.

٣. قصة ذي القرنين

لقد سأل سائلون عن ذي القرنين. سألوا الرسول – صلى الله عليه وسلم – فأوحى إليه الله بما هو وارد هنا من سيرته. وليس أمامنا مصدر آخر غير القرآن في هذه السيرة. فنحن لا نملك التوسع فيها بغير علم. وقد وردت في التفاسير أقوال كثيرة، ولكنها لا تعتمد على يقين. وينبغي أن تؤخذ بحذر، لما فيها من إسرائيليات وأساطير.

وقد سجل السياق القرآني لذي القرنين ثلاث رحلات: واحدة إلى المغرب، وواحدة إلى المشرق، وواحدة إلى مكان بين السدين ... فلنتابع السياق في هذه الرحلات الثلاث.

يبدأ الحديث عن ذي القرنين بشيء عنه :

"وإنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا" ...

لقد مكنا له في الأرض، فأعطاه سلطانا وطيد الدعائم، ويسر له أسباب الحكم والفتح، وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع .. وسائر ما هو من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة.

"فأتبع سببا". ومضى في وجه مما هو ميسر له، وسلك طريقه إلى الغرب.

"حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة، ووجد عندها قوما. قلنا : ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا. قال: أما من ظلم فسوف نعذبه، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا. وأما من آمن وعمل صالح فله جزاء الحسنى، وسنقول له من أمرنا يسرا".

ومغرب الشمس هو المكان الذي يرى الرائي أن الشمس تغرب عنده وراء الأفق. وهو يختلف بالنسبة للمواضع. فبعض المواضع يرى الرائي فيها أن الشمس تغرب خلف جبل. وفي بعض المواضع يرى أنها تغرب في الماء كما في المحيطات الواسعة والبحار. وفي بعض المواضع يرى أنها تغرب في الرمال إذا كان في صحراء مكشوفة على مد البصر ..

واظاهر من النص أن ذا القرنين غرب حتى وصل إلى نقطه على شاطئ المحيط الأطلسي – وكان يسمى بحر الظلمات ويظن أن اليابسة تنتهي عنده – فرأى الشمس تغرب فيه.

والأرجح أنه كان عند مصب أحد الأنهار. حيث تكثر الأعشاب ويتجمع حولها طين لزج هو الحمأ. وتوجد البرك وكأنها عيون الماء .. فرأى الشمس تغرب هناك و "وجدها تغرب في عين حمئة" .. ولكن يتعذر علينا تحديد المكان، لأن النص لا يحدده. وليس لنا مصدر آخر موثوق به نعتمد عليه في تحديده. وكل قول غير هذا ليس مأمونا لأنه لا يستند إلى مصدر صحيح.

عند هذه الحمئة وجد ذو القرنين قوما: "قلنا: يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا". كيف قال الله هذا القول لذي القرنين ؟ أكان ذلك وحيا إليه أم إنه حكاية حال. إذ سلطه الله على القوم، وترك له التصرف في أمرهم فكأنما قيل له: دونك وإياهم. فإما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ؟ كلا القولين ممكن، ولا مانع من فهم النص على هذا الوجه أو ذاك. والمهم أن ذا القرنين أعلن دستوره في معاملة البلاد المفتوحة، التي دان له أهلها وسلطه الله عليها.

"قال: أما من ظلم فسوف نعذبه، ثم يرد إلى ربه فيعذبهم عذبا نكرا. وأما من آمن وعمل صالح ا فله جزاء الحسنى، وسنقول له من أمرنا يسرا".

أعلن أن للمعتدين الظالمين عذابه الدنيوي وعقابه، وأنهم بعد ذلك يردون إلى ربهم فيعذبهم عذابا فظيعا "نكرا" لانظير له فيما يعرفه البشر. أما المؤمنون الصالحون فلهم الجزاء الحسن، والمعاملة الطيبة، والتكريم والمعونة والتيسير.

وهذا هو دستور الحكم الصالح. فالمؤمن الصالح ينبغي أن يجد الكرامة والتيسير والجزاء الحسن عند الحاكم. والمعتدي الظالم يجب أن يلقى العذاب والإيذاء .. وحين يجد الحسن في الجماعة جزاء حسنا، ومكانا كريما وعونا وتسيرا، ويجد المعتمدي جزاء إفساده عقوبة وإهانة وجفوة .. عندئذ يجد الناس ما يحفز هم إلى الصلاح والإنتاج. أما حين يضطرب ميزان الحكم فإذا المعتدون المفسدون مقربون إلى الحاكم مقدمون في الدولة، وإذا العاملون الصالحون منبوذون أو محاربون. فعندئذ

تنحول السلطة في يد الحاكم سوط عذاب وأداة إفساد. ويصير نظام الجماعة إلى الفوضى والفساد.

ثم عاد ذو القرنين من رحلة المغرب إلى رحلة المشرق، ممكنا له في الأرض، ميسرة له الأسباب: "ثم أتبع سببا. حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا. كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا"

وما قيل عن مغرب الشمس يقال عن مطلعها. فالمقصود هو مطلعها من الأفق الشرقي في عين الرائي. والقرآن لم يحدد المكان. ولكنه وصف طبيعته وحال القوم الذي وجدهم ذو القرنين هناك: " حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا" .. أى إنها أرض مكشوفة، لا تحجبها عن الشمس مرتفعات ولا أشجار. فالشمس تطلع على القوم فيها حين تطلع بلا ساتر .. وهذا الوصف ينطبق على الصحارى والسهوب الواسعة. فهو لا يحدد مكانا بعينه. وكل ما نرجحه أن هذا المكان كان في أقصى الشرق حيث يجد الرئي أن الشمس تطلع هذه المستوية المكشوفة، وقد يكون ذلك على شاطئ إفيقية الشرقي. وهناك احتمال لأن يكون المقصود بقوله: " لم نجعل لهم من دونها سترا" أنهم قوم عراة الأجسام لم يجعل لهم سترا من الشمس ..

ولقد أعلن ذو القرنين من قبل دستوره في الحكم، فلم يتكرر بيانه هنا، ولا تصرفه في رحلة المشرق لأنه معروف من قبل، وقد علم الله كل ما لديه من افكار واتجاهات.

ونقف هنا وقفه قصيرة أمام ظاهرة التناسق الفني في العرض .. فإن المشهد الذي يعرضه السياق هو مشهد مكشوف في الطبيعة: الشمس ساطعة لا يسترها عن القوم ساتر. وكذلك ضمير ذي القرنين ونواياه كلها مكشوفة لعلم الله .. وكذلك

يتناسق المشهد في الطبيعة وفي ضمير ذي القرنين على طريقة التنسيق القرآنية الدقيقة.[٣٢]

٣. خصائص سورة الكهف

هناك كثير من الأحاديث النبوية التى رويت عن فضيلة سورة الكهف، منها ما يأتى :

أ. قال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحي عن قتادة عن سالم عن أبي الجعد عن معذات بن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من حفظ عشرة آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال. (رواه مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى من حيث قتادة به، ولفظ الترمذي "من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف".

ب. قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معران عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عَصم من فتنة الدجال. ورواه مسلم أيضا والنسائى من حديث قتادة به، وفي لفظ النسائى "من قرأ عشر آيات من الكهف".

ج. قال الإمام أحمد حدثنا حسين حدثنا ابن لهيعة حدثنا ثوبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قَدَمِهِ إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نورا ما بين السماء والأرض. رواه أحمد.

---

[٣٢]. في ضلال القرآن. ص ٢٢٩٠

د. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطح له نورا من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيئ له يوم القيامة وغفرله مابين الجمعتين. وهذا الحديث في رفعه نظر وأحسن أحواله الوقف. رواه الحافظ أبو بكر بن مردوية في تفسيره.

ه. روى الإمام سعيد بن منصور في سننه عن هشيم بن بشير عن أبي هشام عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور مابينه وبين البيت العتيق.

و. روى الثورى عن أبي هاشم به من حديث أبي سعيد الخدرى وقد أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي بكر محمد بنالمؤمل حدثنا الفضيل بن محمد الشعراني حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم حدثنا أبو هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور مابينه وبين الجمعتين. رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في سننه الحاكم.

ز. قال البيهقي ورواه يحيى بن كثير عن شعبة عن أبي هاشم بإسناده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ سورة الكهف كما نزلت كانت له نورا يوم القيامة.[٣٣]

ح. هذا الذى كان يقرأ هو أقسيد بن حضير كما بينه الطبرانى وأخرج الترمذى وصححه عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال. وفي قراءة العشر الآيات من أولها أو من آخرها أحاديث.

---

[٣٣]. عماد الدين، أبو الفداء اسماعيل بن كثير. *تفسير القرآن العظيم الجزء الثالث*. (القاهرة: وار الحديث، ١٩٩٨م – ١٤٠٨ ه) ص ٦٩.

ط. وأخرج ابن مردويه، والضياء فى المختارة عن على قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون، فإن خرج الدجال عصم منه.

ي. وأخرج الطبرانى في الأوسط، والحاكم وصححه وابن مردويه، والبيهقى والضياء عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة الكهف كانت له نورا من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر أيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره.

ك. وأخرج الحاكم وصححه من حديث أبى سعيد، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: قرأسورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين.

ل. وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بسورة ملأ عظمتها ما بين السماء والأرض، ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله من أى الليل شاء ؟ قالو: بلى يا قال رسول الله، قال: سورة أصحاب الكهف.

م. وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: البيت الذى تقرأ فيه سورة الكهف لا يدخله شيطان تلك الليلة. وفى الباب أحاديث وآثار، وفيما أوردناه كفاية مغنية.[٣٤]

[٣٤].محمد بن على بن محمد الشوكانى: *فتح القدير*، (١٤٢٦ ه – ٢٠٠٥ م). ص.٣٧٢.

٤. أسباب النزول

عن ابن عباس، قال: بعث قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، إلى أحبار اليهود بالمدينة فقالوا لهما: سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرج حتى أتيا المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و وصفا لهم أمره وبعض قوله وقالا لهم: إنكم أهل التوراة وقد جئنا، لتخبرونا عن صاحبنا فقال لهما اليهود: سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه كان لهم أمر عجب؟ وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبأه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟ فأقبلا حتى قدما على قريش فقالا: قد جئنا كم بفصل ما بينكم وبين محمد فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن الأمور الثلاثة، فقال: "أخبر كم غدا بما سألتم عنه" و لم يستثن فانصرفوا ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحيا ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غدا وقد مر خمس عشرة ليلة، وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُكْث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من الله بسورة الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله {ويسألونك عن الروح} (رواه ابن جرير).[٣٥]

بسم الله الرحمن الحيم. قوله تعالى: (واصبر نفسك) الآية. حدثنا القاضي أبوبكر أحمد بن الحسين الحرير إملاء في دار السنة يوم الجمعة بعد الصلاة في شهور

---

[٣٥].عبد الفتاح عبد الغني القاضي، *أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين*، (جمهورية مصر العربية- القاهرة -الإسكندرية، دار السلام: ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م). ص ١٤٥

سنة عشر وأربعمائة قال: أخبرنا أبو الحسن بن عيسى بن عبد ربه الحيرى قال: حدثنا محمد ابن إبراهيم البوشنجى قال: حدثنا الوليد بن عبد الملك بن مسرح الحرانى قال: حدثنا سليمان بن عطاء الحرانى، عن مسلمة بن عبد الله الجهنى، عن عمه ابن مشجعة بن ربعى الجهنى، عن سلمان الفارسى قال: جاءت المؤلفة القلوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والأقراع بن حابس وذو وهم، فقالوا: يارسول الله إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جباههم يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها جلسنا إليك وحدثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى: وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴿٢٨﴾ حتى بلغ — إنا أعتدنا للظالمين نارا — يتهددهم بالنار، فقام النبي صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى قال: الحمد لله الذي لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع رجال من أمتى معكم المحيا ومعكم الممات.

قوله تعالى: (وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا) الآية. أخبرنا أبوبكر الحارثى قال: حدثنا أبو يحيى الرازى قال: حدثنا سهل ابن عثمان قال: حدثنا أبو مالك، عن جوهر، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله تعالى — ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا — قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحى، وذلك أنه دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمر كرهه من تحرد الفقراء عنه وتقريب صناديد أهل مكة، فأنزل الله تعالى - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا - يعنى من ختمنا على قلبه عن التوحيد — والتبع هواه- يعنى الشرك.

قوله تعالى: (وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلۡقَرۡنَيۡنِ) الآية. قال قتادة: إن اليهود سألوا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين، فأنزل الله تعالى هذه الآية. [٣٦]

اليهود لا يؤمنون بعثه محمد بن عبد الله، والنصارى يكفرون الحياة في الجنة. وقال النصارى: "لا طعام ولا شراب في الجنة". ولذلك أنزل الله تعالى أية ١٠٣-١٠٦ تقريرا الوعد من ذم رسول الله وكفر الحياة في الآخرة. وعليه عذاب جهنم.[٣٧]

قوله تعالى: (قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى) قال ابن عباس: قالت اليهود لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" كيف وقد أوتينا التوراة، ومن أوتى التورتة فقد أوتى خيرا كثيرا فنزلت —قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى- الآية

قوله تعالى: (فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ) الآية. قال ابن عباس: نزلت في جندب بن زهير الغامدى، وذلك أنه قال: إنى أعمل العمل لله، فإذا اطلع عليه سرنى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، ولا يقبل ما روئ فيه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

---

[٣٦].أبي حسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى، *اسباب النزول*، (بيروت لبنان: دار الفكر، ١٩٩١م-١٤١١ه). ص.٢٠١

[37] . A. Mudjab Mahali, Asbabun Nuzul: *Studi Pendalamn Al-Qur'an*, (Jakarta: PT RajaGrafindo Persada,2002) hal. 573